لقاء من خلف قضبان المرتدّين

نداء الإسلام» تحاور الشيخ الأسير / أبو محمّد المقدسي«

● مكث إخواننا في زنازين المخابرات الانفرادية لمدد لم يمكثها من قبلهم في هذا البلد إلا القليل، حيث وصلت مع بعضهم إلى سنة بكاملها.. ذاقوا فيها أصنافاً من العذاب المعنويّ والجسديّ الذي تفنّنت السلطة فيه، مما اضطرّها إلى إخفاء كثير منهم عن أعين المنظّمات الدولية التي تزور السجن..

● أعتقد بأن جهاد المرتدّين المبدّلين لأحكام الله المحاربين لدين الله وأوليائه المتسلّطين على أزمة الأمور في بلاد المسلمين أولى من قتال اليهود

● أما ما يشقشق به بعض المشايخ من أن العمليات الجهادية ضد اليهود لا تجلب للمسلمين إلا الدماء.. فهذه شبهة من شبه المخذّلين عن الجهاد في كلّ مكان وليس في فلسطين وحسب. ولو اتّبع المسلمون مثل هذه الشقشقات والتفتوا إليها أو اعتبروها لما قامت لهم قائمة، ولا رُفعت راية من رايات الجهاد في يوم من الأيّام..

هلا أعطيتمونا نبذة سريعة عن نفسكم وظروف اعتقالكم والحكم عليكم؟

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

أخوكم أبو محمد عصام أو عاصم (وهو أحبّ إليّ) ابن محمد بن طاهر البرقاوي مولداً، المقدسي شهرةً، العتيبي نسباً.

محمّد أكبر أبنائي عمره ١٢ سنة وبه أكنّى، ولي غيره ابنان: عمر وإبراهيم، وابنة أيضا. والمقدسيّ لقب اشتهرت به أكثر من اسمي في بداية دعوتي وكتاباتي والتصق بي وهو نسبة تشريف إلى بيت المقدس أشرف البقاع قرباً إلى مسقط رأسي وهو قرية برقا من أعمال نابلس.. التي ولدّت فيها عام ١٣٧٨ هـ الموافق لسنة ١٩٥٩ م، وتركتها بعد ثلاث أو أربع سنين مع عائلتي إلى الكويت حيث مكثت وأكملت دراستي الثانوية.. وكانت أمنيتي في ذلك الوقت دراسة الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة.. إلا أنّني توجّهت لدراسة العلوم في جامعة الموصل بشمال العراق تحت رغبة والدي.

وكانت هذه الفترة هي فترة توجّهي، فوفقني الله من بدايتها أن لا أستسلم للحزبية ولا أسمح لبوتقتها أن تحجر عليّ أو تمنعني من الاتّصال بسائر الجماعات الإسلامية كي أستخلص ما أراه مفيداً من عمومها منذ البداية.

فكانت لي مشاركة واتّصال ببعض الحركات والجماعات المختلفة، منها من كان رافداً إصلاحيّاً منفصلاً عن حركة الإخوان.

كما اتّصلت بالسلفيين مدّة، وبطائفة من جماعة جهيمان مدّة أخرى لا بأس بها، كما تردّدت على بعض رموز ومشايخ القطبيين.. وبعض الاتجاهات الجهاديّة أيضاً.. وكان لي من أكثر هؤلاء إخوة ومشايخ أفاضل لا أغمطهم حقّهم، ولا أنسى فضلهم، خصوصاً وأن ذلك كان في بداية التوجّه وأوّل الطلب.. رغم مخالفتي لهم في أمور، لم أكن أخفيها عنهم.

وتنقّلت بين الكويت والحجاز، وكان لي هنا وهناك احتكاك طيّب واتّصال كبير بطلبة العلم، وبعض المشايخ الذين أخذت عنهم بعض مفاتيح العلم، إلا أنهم لم يشفوا غليلي مما يبحث عنه الشباب من بصيرة في الواقع وتنزيل الأحكام الشرعية الصحيحة عليه، والموقف الصريح في حكام الزمان ووضوح السبيل إلى تغيير واقع الأمة. فعكفت على مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم.. ثم لفت انتباهي في فترات تردّدي على المدينة المنوّرة كتب الشيخ محمد بن عبدالوهّاب وتلاميذه وأولاده وأحفاده من أئمة الدعوة النجدية التي تزخر بها المكتبات العامة والخاصّة

هناك، فعكفت عليها وقتاً طويلاً ولا أظنّني تركت كتاباً لهم مطبوعاً إلا طالعته، فكان لهذه الكتب بالتحديد أثر عظيم في توجّهي بعد ذلك..

وسافرت إلى الباكستان وأفغانستان مراراً، وتعرّفت خلالها على إخوة كثر وجماعات كثيرة من أنحاء العالم الإسلامي، وشاركت ببعض الأنشطة التدريسيّة والدعوية هناك.. وهناك كان أوّل طبعة لكتاب «ملّة إبراهيم» الذي كتبته في تلك الفترة، وكان تأثري بكتب أئمة الدعوة النجدية فيه واضحاً جليّاً.

كما كانت لي جولات ومواجهات مع بعض غلاة المكفّرة تمخّضت عن بعض المصنّفات التي لم تطبع إلى الآن مثل «الردّ على غلاة المكفّرة في قاعدة من لم يكفّر الكافر وسلاسل التكفير»، كما كان لي جولات أخرى ومواجهات مع بعض جماعات الإرجاء تمخّضت عن عدّة كتب منها «إمتاع النظر في كشف شبهات مرجئة العصر» و«الفرق المبين بين العذر بالجهل والإعراض عن الدين» وغيرها..

ثمّ استقرّ بي المقام في الأردن وذلك قبل اعتقالي بسنتين فقط أي عام ١٩٩٢، حيث وجدّتها تعجّ بجماعات الإرجاء التي تسرح وتمرح فيها.. فبدأت بهذه الدعوة المباركة، فكان لي ثلاثة دروس في أماكن متفرّقة من البلد، اثنان عامّان والثالث كان خاصّاً.

وكان التركيز في هذه الدروس على التوحيد ولوازمه وواجباته، و«لا إله إلا الله» وشروطها ونواقضها وأوثق عراها، وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة والردّ على شبهات جماعات الإرجاء.. ونحوه من الموضوعات المهمّة التي تنقص كثيراً من الناس، وأحوج ما يكون الشباب إليها..

وقد تزامنت تلك الدروس مع أيّام الانتخابات للمجلس التشريعي، فاحتدمت النقاشات بين بعض الشباب الدارسين عندي وبعض أنصار الديمقراطية والانتخابات.. فاحتاج الأمر إلى المبادرة بكتابة رسالة مختصرة تتناول هذا الموضوع وتردّ على أشهر شبهات القوم، فقمت على عجالة بكتابة رسالة سمّيتها «الديمقراطيّة دين ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه»[١] طبعناها وقمنا بنشرها بين الناس في تلك الفترة.. كما قمت بخطابة الجمعة بدلاً عن أحد إخواننا الخطباء في تلك الأيّام شرحت فيها دعوة التوحيد، ودعوت الناس صراحة إلى البراءة من القوانين الوضعيّة والكفر بالمجالس التشريعية وحذّرتهم من المشاركة في انتخاباتها..

وقد كنت حرصت على توسيع نطاق دعوتنا، فقمت مع بعض إخوة التوحيد بجولات وزيارات إلى جنوب البلاد وشمالها ومناطق متفرّقة منها نتّصل ببعض إخواننا ممّن كان لهم مشاركة في الجهاد الأفغاني وتوجّه طيّب في الدعوة ونصلهم بكتاباتنا ونحثّهم على الاجتهاد في الدعوة إلى التوحيد والتركيز عليه.

وقد لفتت هذه الدعوة المباركة على حداثتها انتباه أعداء الله والجهات الأمنيّة، كما ضاق بها ذرعاً أفراخ المرجئة وأذناب الحكومة، فأمسى كلّ منهم يكيد لها بطريقته..

فبينما اشتغل أذناب الحكومة بتشويه الدعوة ورمي إخواننا بالتكفير والغلوّ ونحوه ممّا اعتادت جماعات الإرجاء أن تشغب به على أهل الحقّ...

بدأت المخابرات بتتبّع إخواننا في عرض البلاد وطولها واعتقالهم الواحد تلو الآخر.. محققين معهم عن هذه الدعوة وعنّي وعن طبيعة الدروس التي ألقيها وعمّا أدعوهم إليه..

وكان هذا الأمر بالنسبة لي طبيعيّاً، وكنت أنتظره وأتوقّعه في أيّة لحظة، فهذه طبيعة هذه الطريق، وأعداء الله قد يقرّون أيّ تجمّع في البلد وأي جماعة من جماعات الإرجاء، كما كانوا يقولون لبعض من اعتقلوه من إخواننا: لماذا لا تدرس عند علي الحلبي أو عند أبي شقرة أو عند الألباني؟ أو... أو...؟ تترك هؤلاء المشايخ وتذهب عند هذا الإرهابي؟

فدعوةٌ تسلك طريق الأنبياء وتقوم بملّة إبراهيم وتصدع بالتوحيد فليس إلى تركها وترك أهلها من سبيل.

ومصداق ذلك ما قاله ورقة بن نوفل في فجر النبوّة للنبيّ ﷺ: «إنّه لم يأتِ رجلٌ بمثل ما جئت به إلا عودي»!!

فمن لم يُعادى من قبل أعداء الله فإنّه ولا بدّ لم يأتِ بمثل ما جاء به النبيّ ﷺ.. بل لا بدّ أن يكون له نصيب، إمّا من التقصير أو الزيغ أو الانحراف..

ولا شكّ أن دعوةً كدعوتنا لا زالت في مهدها في هذا البلد ينفعها التمحيص ويقوّيها ويزيدها صلابة ويميز الخبيث من

---

[١] تكفير الأعيان له ضوابط شرعيّة، وهي تحقّق شروط وانتفاء موانع، يجب إعمالها في كلّ من ثبت إسلامه وأتى بعمل مكفر.

الطيّب فيها..

قرّرت مع الإخوة أن لا نسلّم أنفسنا، وبنفس الوقت لم نتّخذ قراراً بالمواجهة كردّ فعل غير مدروس يجرّنا إليه ويحدّد وقته العدوّ، خصوصاً وأن تجربتنا في هذا البلد كانت لا زالت في مهدها..

دُوهم منزلي سبع مرّات من أجل اعتقالي، وحطّموا بابه أكثر من مرّة وقاموا بتفتيشه مراراً، وصادروا كثيراً من الكتب والأوراق والكتابات، وما يعجبهم من حاجيات، وكانوا يطالبون أهلي في كلّ مرة بحضوري إلى دائرة المخابرات وتسليم نفسي.

وفي آخر الأمر تمّ اعتقالي مع مجموعة من الإخوة الموحّدين الذين كان بعضهم قد استفتاني للقيام بعمليّة عبر النهر مستعملين بعض القنابل والمتفجّرات التي كنت قد وقرتها لهم.. وأنا لم أكن أمانع من أمثال هذه العمليات، وإن كنت أقول بأن الدعوة إلى التوحيد في هذه المرحلة والصبر والجهاد من أجلها، أولى في هذا البلد الخاوي إلا من جماعات الإرجاء.. لأنّ أنصار تلك العمليات (أي ضدّ اليهود) كثر، خاصّة في هذا البلد بسبب موقعه الجغرافي مع فلسطين.. أمّا أنصار دعوة التوحيد الذين يعدّون العدّة لجهاد أئمة الكفر، الذين هم في الحقيقة حرّاس (إسرائيل) والذين زرعوها في قلب العالم الإسلامي وسلّطوا غيرها من كفّار الشرق والغرب على خيراتها، فقليلٌ.

ودخول القنابل والمتفجّرات في الموضوع مكّن الأجهزة الأمنية الحاقدة على هذه الدعوة، من تطوير التهم التي كانت ستوجّهها إلينا، من تهمة إطالة اللسان على الطواغيت وتهمة التنظيم غير المشروع كما يسمّونه.. إلى تهمة حيازة المفرقعات والمؤامرة الإرهابية على أمن البلد والسلامة العامّة..!!

وهذا كلّه من تدبير الله تعالى لهذه الدعوة.. وصدق الله {وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين}.

فقد كان لهذا الاعتقال وكيد أعداء الله في تضخيم القضيّة والضجّة الإعلامية التي افتعلتها أجهزتهم إظهاراً لدعوتنا وتسريعاً لنموّها وانتشارها بفضل الله تعالى.. وكم لله من سننٍ في الضرّاء لا توجد في السرّاء.

فقد ربط الله على قلوبنا ووقفنا سبحانه منذ اللحظة الأولى من اعتقالنا بالصدع بدعوتنا المتضمّنة لبراءتنا من طواغيت الحكم ومن قوانينهم وأربابهم المشرّعين.. فواجهناهم بذلك صراحة دون مداهنة أو مداورة.. وكان لهذا الموقف الذي طوّرناه فيما بعد في السجون والمحاكم خطابة وكتابة وتدريسا، أثره البالغ في اغتياظ أعداء الله واشتداد حقدهم على كلّ من كان يعرفنا أو يحوز كتاباتنا أو يتّصل بنا من قريب أو بعيد..

ولذلك مكث إخواننا في زنازين المخابرات الانفرادية التي مُنع أكثرهم فيها عن الاتّصال بالعالم الخارجي لمدد لم يمكثها من قبلهم في هذا البلد إلا القليل، حيث وصلت مع بعضهم إلى سنة بكاملها، وأقلّهم مكث ٦ شهور.. ذاقوا فيها أصنافاً من العذاب المعنويّ والجسديّ الذي تفنّنت السلطة فيه، مما اضطرّها إلى إخفاء كثير منهم عن أعين المنظّمات الدولية التي تزور السجن في أوقات متفرّقة.. وهي تجربة فريدة مباركة، كان لها الأثر في زيادة صلابة الكثير منهم..

ثم أُخرجنا من الزنازين وأُحلنا إلى السجون، حيث بعثوا بي إلى سجن في شمال البلاد «سجن قفقفا»، وبعثوا بأغلب الإخوة الباقين إلى السجن المركزي في جنوبها «سجن سواقة»، وذلك طمعاً منهم في التفريق بيننا وإضعاف صفّنا ودعوتنا.. {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}.. فما أن وطأت رجلي ذلك السجن، وخرجت من عزلة الشهور الماضية، حتّى باشرت بالدعوة التي كنت متعطّشاً إليها، فقمت بكتابة بعض المنشورات كسلسلة سمّيتها «يا صاحبي السجن ءأربابٌ متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار» ضمّنتها موضوعات متفرّقة حول التوحيد، وملّة إبراهيم، والعبادة، والشرك، ولا إله إلا الله ونواقضها وشروطها ولوازمها، وسعيت في نشرها بين السجناء..

وكان من بينهم من أخرجها معه من السجن عند الإفراج عنه وقام بنشرها خارج السجن ممهورة باسمي معنونة بسجن «قفقفا» ممّا أغاظ أعداء الله، وقام بعض أولئك المفرج عنهم بالاتّصال ببعض إخواننا ليحصلوا منهم على بعض كتاباتنا، ثمّ يقدّر الله أن يكون لهؤلاء السجناء دورٌ في مهاجمة مركز للمخابرات الأردنيّة بالأسلحة الرشّاشة، حيث اعتقل بعضهم، وصرّح بمعرفته بي وبلقائه بي في السجن، ووجدت عنده بعض كتاباتي.. فجعل الله تعالى هذه الحادثة سبباً في لمّ شملي مع إخوتي، حيث نُقِلت على إثرها مباشرة إلى السجن المركزي في الجنوب..

وهذا ينقلنا إلى السؤال الثاني.

كيف يقضي الشيخ وقته، وما هي أحواله وأحوال إخوانه المساجين؟

بعد اجتماعنا في السجن المركزي، باشرنا بتنظيم صفّنا ونشاطاتنا داخل السجن، وأوّل أمر دعوت الإخوة إليه هو إقامة

صلاة الجمعة في المهجع، لتكون موئلاً للسجناء ومنبراً لدعوتنا، وبالفعل باشرنا بذلك، فبعد أن كان الإخوة لا يقيمونها لترجيحهم عدم وجوبها في الأسر والسفر.. صار مهجعنا منبراً لدعوة التوحيد، فشرط الوجوب ليس شرطاً للجواز.. والغاية من إقامة الجمعة كانت الدعوة وتوفير البديل عن مسجد السجن الذي يخطب فيه ضابط من أذناب النظام، كما صلّينا صلاة العيد في المهجع وساحته مراراً. وكان المصلّون معنا من السجناء، أضعاف المصلّين في مسجد السجن.

كما رتّبت سلسلة من الدروس للإخوة، وانشغل الإخوة في دعوة السجناء من القضايا الأخرى ممّن يتوافدون على مهجعنا أو يذهب إليهم إخواننا في مهاجعهم..

وقد كان بعض إخواننا حديث عهد بهذه الدعوة، ولذلك لم يكن يخلو الأمر من بعض الأخطاء التي مَبعثها الحماس أو التسرّع والإفراط الذي يزول عادة بطلب العلم.. مما جعلني أبادر إلى كتابة مجموعة رسائل تبيّن حقيقة دعوتنا وتظهرها بثوبها المشرق الذي يحبّه الله ويرضاه..

فوجّهت بعض تلك الرسائل إلى السجناء (كمختصر «ملّة إبراهيم»)، وبعضه وجّهته إلى عساكر السجن وضبّاطه وإدارته الذين كانوا يستهجنون مفاصلتنا لهم وبراءتنا منهم ومن قوانينهم..

فكتبت لهم رسائل مثل «هذان خصمان اختصموا في ربّهم»، «من نحن وما هي تهمتنا»، وبعضها إلى جواسيس النظام في السجن وهم «الأمن الوقائي» فلم أستثنهم، بل كتبت لهم رسالة بعنوان: «موعظة إلى مرتب الأمن الوقائي في سجن سواقة»، «سيذّكر من يخشى ويتجنّبها الأشقى»، بيّنت لهم حقيقة عملهم، وأنّه أخبث من جريمة الجواسيس العرب لصالح (إسرائيل) ممّن كانوا يقضون عقوبات بالسجن.. فأولئك يتجسّسون ليهود على مرتدّين، وهم يتجسّسون للمرتدّين على الموحّدين!!

كما قمت بكتابة عدد من الردود على كثير من الأفكار المنحرفة والشبهات المطروحة داخل السجن.. إذ من الطبيعي أن يكون لكلّ دعوة خصوم وأعداء يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً..

وكان هؤلاء يتمثّلون بوعّاظ السجن الذين كُثّفت اجتماعاتهم بالسجناء بعد أن كانت شبه معدومة.. وذلك لبثّ الشبهات التي تدافع عن نظام الحكم وتسوّغ باطله وتدفع عن أربابه وأزلامه وتشكّك في دعوتنا.. كما شارك في ذلك -وللأسف- بعض جماعات الإرجاء المخالفة والمخذّلة لدعوة التوحيد ممّن يقدّمون الأفكار والعقول على النقول، وكانوا من السجناء، فكان لنا جولات ومناظرات مع هؤلاء وهؤلاء..

وكتبنا عدّة ردود نذود بها عن دعوة التوحيد ونصدّ عنها سهام التشبيه والتخذيل.. فكتبت ردّاً على بعضهم في دعواه أنّ ملّة إبراهيم ليست من شرعنا.. وعلى غيره ردّاً في أبواب الإيمان ومسمّاه ولوازمه عند أهل السنّة، وردّاً آخر على من تطاول على الصحابة ووصفهم بالخيانة ليرقع لعساكر السجن وجواسيس النظام سمّيته «الشهاب الثاقب على من افترى على الصحابيّ حاطب».

كما كتبت رسالة لجميع هؤلاء سمّيتها «كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين».

كما قمنا بإصدار مجلّة سمّيناها «مجلّة التوحيد» شارك كثير من الإخوة بكتابة موضوعاتها، وكانوا يقومون بنسخ أعداد منها لتوزيعها بين السجناء في مهاجع السجن المختلفة..

وكان يتردّد على السجن ويزوره في بعض الأحيان نوّاب من المجلس التشريعي بدعوى تفقّد أحوال السجناء.. فقمت بكتابة ما سمّيته «كشف الزور في إفك نصوص الدستور» وهو نقد للدستور الأردني وبيان مناقضته لشرع الله تعالى، وضمّنته بيان الكفر الصريح الموجود في المجالس التشريعيّة وفسادها نقلاً وعقلاً، وقد قمنا بتسليمها لأكثر من نائب ممّن حضر لزيارة السجن..

كما قمت بالرد على بعض مقالاتهم التي نشروها في الصحف المحلّية يعرّضون فيها بدعوة التوحيد ويرمون شبابها بالغلوّ والتكفير وغير ذلك من افتراءاتهم.. ورددّت أيضاً على كثير مما كان يكتب في الصحف بقصد تشويه هذه الدعوة المباركة أثناء محاكمتنا.. وكان أكثر ما نكتبه يخرج من السجن بفضل الله تعالى. وكان يقوم بعض الإخوة على طبعه ونشره وتوصيله إلى المعنيين بالرد من صحف يومية أو أسبوعية أو كتّاب أو نوّاب..

كما وفقنا الله إلى استغلال فترة محاكمتنا التي تعمّد النظام إطالتها متعذّراً بما صاحبها من مناوشات ونقاشات بيننا وبين قضاة الكفر.. فقد وفقنا الله تعالى بفضله وكرمه، أن نُريَ أعداء الله تعالى من المواقف والردود ما لم تشهده قاعات محاكمهم من قبل في هذا البلد.. فمن التكبير والهتافات المنددّة بالنظام وقوانينه وأربابه المتفرّقين ورفض القيام للقضاة أو احترام المحكمة الكافرة.. كما كنّا نقف بيني يدي كلّ جلسة تقريباً لنخطب بالحضور من عساكر ومحامين

وقضاة وسائر الحضور رغماً عن أنوف أرباب المحكمة الذين كانوا يغتاظون من ذلك ويضطّرون إلى الانتظار حتّى ننتهي من خطاباتنا التي كنّا نبيّن لهم فيها حقيقة دعوتنا وتهمتنا، وحكم هذه الأنظمة القائمة الجاثمة على صدور المسلمين، ونذكر كفر محاكمها وقوانينها وندعوهم جميعاً، عساكراً وقضاة ومحامين وغيرهم، إلى البراءة من النظام الكافر والكفر بقوانينه واجتناب نصرتها ليصيروا جنداً للتوحيد وأنصاراً للشريعة..

كما قمت بتسليم رئيس محكمة أمن الدولة في أول الجلسات رسالة كنت قد جهّزتها كـ«لائحة اتّهام» للنظام الذي جعلته هو وأربابه في قفص الاتّهام، سمّيتها بـ«محاكمة محكمة أمن الدولة وقضاتها إلى شرع الله»، فسلّمتها لهم بعد أن سلّمونا لوائح اتّهامنا.

وقد بارك الله تعالى بتلك الجهود والمواقف.. فكان لهذه الدعوة الأثر البالغ في السجن وخارجه بفضل الله تعالى وحده..

وتلقف السجناء من مختلف المهاجع والقضايا أوراقنا وكراريسنا، وكان لذلك أثرٌ ظاهرٌ في السجن.. ونشط الإخوة في الدعوة فاهتدى على أيديهم كثيرٌ من السجناء، صاروا بعد ذلك جنداً للتوحيد ودعاة لدين الله..

كما كان يتوافد علينا في أيّام الزيارات إخوة من أرجاء البلد كثير منهم لم نكن نعرفهم، ولكنّهم سمعوا بدعوتنا أو وصلتهم كتاباتنا، فصار كثير منهم يزورنا يشدّ من أزرنا ويزوّدنا ببعض أخبار المسلمين، ومنهم من كان يراجعنا في بعض المسائل أو يستفتينا ببعض ما يشكل عليه، فأخرجت لهم كثيراً من الكتابات التي كتبتها في السجن، ومنها ما كان ردّاً خاصّاً على بعض تساؤلاتهم، فساهموا بنشره خارج السجن.. فغصّت حلوق أعداء الله بهذه الدعوة، وضاقوا بها ذرعاً، فهم لم يعتقلونا ولا سجنونا ليشهروا دعوتنا ويظهروها وينشروها، بل ليردعونا عنها ويحجبوا الناس عن نورها..

كما قال تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتّى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة} الآية.. ومن ثمّ بادروا بإجراءات وردود فعل مختلفة داخل السجن وخارجه..

أما الخارجية فتمثّلت بمحاولات تشويه دعوتنا عبر الصحافة بالافتراء تارّة وباستغلال إطلاقات بعض الشباب من حديثي العهد بطلب العلم.. وقد أعاننا الله فتصدّينا لهم بالردود المختلفة كما تقدّم..

كما كتبت عدّة رسائل ذكرت فيها بعض الضوابط التي تضبط كثيراً من المسائل للشباب، خوفاً من أن ينحرف بعضهم إلى الإفراط أو التفريط تحت ضغط السجن أو شغب المخالفين..

ثمّ بدؤوا يضيّقون الخناق على زوّارنا من الشباب بتشديد إجراءات الزيارة أو منعهم وطردهم أحياناً، وتفتيشهم تفتيشاً دقيقاً عند الدخول والخروج، والتحقيق معهم وإحالة أسمائهم إلى الجهات الأمنيّة، التي تقوم باعتقالهم فيما بعد والتحقيق معهم حول زياراتهم لنا والغاية منها، وعن كتاباتنا وكيفيّة خروجها من السجن، ويتوعّدونهم في حالة تكرار الزيارات بإيقاع العقوبات عليهم.. وفعلاً كانوا يقومون باعتقال من لا ينقطع عن زيارتنا، وربّما وضعوا بعضهم تحت الإقامة الجبرية بعد أخذ تعهّد منهم بعدم زيارتنا.. ويضعون على البعض الآخر كفالات مالية يهدّدون بمصادرتها في حال مخالفة ذلك التعهّد..

أمّا على المستوى الداخلي في السجن، فقد قامت إدارة السجن بعزل جميع السجناء عنّا ومنعهم من الاتّصال بنا والصلاة معنا.. وفرضت عقوبات على كلّ من يضبط في صلاة الجمعة أو غيرها عندنا أو يضبط شيء من رسائلنا وكتاباتنا بحوزته، وكانت العقوبات تتمثّل بالضرب تارّة، والتقييد بأشباك السجن ليبقى المرء معلّقاً واقفاً لمدد طويلة، والحبس الانفرادي.. وكنّا نحثّ الإخوة على الثبات والصبر، خصوصاً ممّن اهتدوا منهم من أصحاب القضايا الأخرى، ونعرّفهم بأنّ هذه سنّة الله في طريق هذه الدعوة، لكن عندما كان الأمر يتعلّق بالدين كأن يُسبّ دين أخ منهم أو تحلق لحيته كنّا نتّخذ إجراءات سريعة تتمثّل غالباً بالتجمهر على أبواب السجن وعصيان الأوامر ورفض الانصياع لتعليمات السجن بالعدد اليومي، ونرفض الدخول إلى المهاجع مساء، ونقوم بإيصال رسالة شفويّة أو مكتوبة نخوّف الإدارة فيها ونذكّرها بالله، ونحذّرها من الاستهتار بديننا أو التعرّض لما يمسّه. وكانت تجري بيننا وبينهم مفاوضات واتّفاقات على ذلك، وكنّا نؤكّد عليهم دائماً في مقابلاتنا معهم بأنّنا لا نبالي بالعقوبة المتمثّلة بالإفراد بالزنازين ونقبل بمثلها لمن يريدون عقوبته من إخواننا، أمّا التعرّض لديننا فلن نسكت عليه بحال ولن نرضى به: فقد سجنّا لأجل ديننا، ونحن مستعدّون للموت في سبيله.. وقد أسمعناهم هذا مراراً.. إلى أن تعارفت إدارة السجن معنا على ذلك فلم يكونوا يتعرّضون لدين أحد من إخواننا حتّى وإن كان ممّن هداه الله في السجن من أصحاب القضايا الأخرى.. وذلك بعد صدامات عديدة جرت مع عساكر السجن، وصلت في بعض الأحيان إلى درجة استعمالهم الغاز ومحاولتهم اقتحام

السجن علينا، وكان اللـه تعالى يصرف كيدهم عنّا ويزيدنا عزّة، وهذا كلّه من فضل اللـه تعالى الذي جعل لأوليائه هيبة في صدور أعدائه..

وفي آخر الأمر فوجئت بنقلي إلى سجن المخابرات العامّة في عمّان، وذلك قبل خمسة شهور من تاريخ اليوم..

وجرى معي تحقيق حول نشاطاتنا في السجن وحول زوّارنا من الشباب وعن كتاباتنا وكيفيّة خروجها من السجن وعن أمور كثيرة متعلّقة بأوضاع السجن وإخواننا في الداخل والخارج.. واستعمل معي أسلوب التهديد تارّة بأن قالوا بأنّني سأمضي مدّة محكوميّتي وهي خمسة عشر سنة في زنازينهم ولن يرجعوني إلى السجن المركزي.. وتارة عرضوا عليّ البراءة من كتبي وتحذير الشباب من دعوتي مقابل الإفراج عنّي.. ولا أدري أكانوا جادّين في هذا العرض أم هو مجرّد جسٍّ للنبض. وعلى كلّ حال فقد ثبّتنا اللـه بكرمه ورددنا ذلك في وجوههم، وصرّحنا بأنّنا لا زلنا رغم السجن وزنازينه وضيقه على عقيدتنا نبرأ إلى اللـه منهم ونكفّر أربابهم المشرّعين.. فتمّت إعادتي إلى السجن المركزي بعد خمسين يوماً، حيث فوجئت أنا وجميع الإخوة بعد ذلك بأقل من شهر، بنقلنا إلى سجن صغير في منطقة البلقاء، حيث تم إفرادنا نحن أصحاب القضايا الإسلامية عن سائر السجناء والسجون..

وكان هذا هو خلاصة مكرهم، وآخر مخطّطات خفافيش الدجى الذين حرقت عيونهم أنوار دعوة التوحيد وضاقوا بها ذرعاً.

ومع هذا فها نحن بفضل اللـه تعالى رغم هذه العزلة التي عزلونا فيها عن العالم أجمع، نشتغل بطلب العلم الشرعي.. وها هي رسائلنا لا زالت بفضل اللـه تعالى تنفذ عبر أسوارهم وقضبانهم وسجونهم وسدودهم وتتعدّى جدرانهم إلى العالم.. كما هو حال هذه الكلمات.. نقرع بها رؤوسهم كما قرعناها من قبل في زنازينهم وفي محاكمهم وفي سائر سجونهم.

واللـه متمّ نوره ولو كره المشركون.

فنسأل اللـه تعالى لنا ولإخواننا الموحّدين في كلّ مكان التوفيق والثبات وحسن الختام.

اتُّهمتم وسجنتم لدعوتكم وسعيكم لتنفيذ عمليّات ضد أهداف إسرائيلية. كيف تعلّقون على ذلك؟ وما رأيكم في العمليّات الاستشهادية؟

قد بيّنت مراراً أنّني لا أرى مانعاً شرعيّا يمنع من الجهاد ضد اليهود أو غيرهم من الكفّار المحاربين للمسلمين في أي بقعة من بقاع الأرض، ويتأكّد ذلك ويجب إذا كان في أرض مسلمة مغتصبة محتلّة كفلسطين. ولا يخالف في هذا إلا جاهل بدين الإسلام.

ولكنّني أعتقد بأن جهاد المرتدّين المبدّلين لأحكام اللـه المحاربين لدين اللـه وأوليائه المتسلّطين على أزمة الأمور في بلاد المسلمين أولى من قتال اليهود لقوله تعالى {يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفّار}. فهؤلاء هم الذين يلوننا مباشرة، وهم الذين يشكّلون بجيوشهم حجاباً حارساً لليهود من هجمات المجاهدين.. ولأنّ كفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي. ولأنّه ما مكّن لليهود ولا للأمريكان ولا لغيرهم من الكفّار في بلاد المسلمين وجعل أموال المسلمين وبلادهم نهبة لهم إلا هؤلاء المرتدّين.. ولأنّ قتال اليهود المحتلّين كما قلنا لا يكاد يخالف في مشروعيّته إلا من طبع اللـه على قلبه وأعماه عن نور الوحي.. أما قتال هؤلاء الحكّام الكفرة وأنصارهم فهو ملتبس على كثير من المسلمين ويُجادل فيه ويصدّ عنه كثيراً من المتعالمين.. ولأجل ذلك نؤكّد على هذا الواجب، إحياء لهذه الفريضة المعطّلة وتوجيها للمسلمين إلى الإعداد المعنويّ والمادّي لهذا.

ما هو ردّكم على المشايخ الذين يعلّمون أتباعهم بأنّ تلك العمليات انتحاريّة، وأنّها لا تجلب إلاّ الضرر والدمار للمسلمين الفلسطينيين؟

أمّا العمليّات التي يقوم بها بعض الشباب في فلسطين بتفجير أنفسهم بعبوات ناسفة من أجل جهاد اليهود وإلحاق الضرر الفادح في صفوفهم، فنحن وإن كان لنا عليها بعض الملاحظات التي أشرت إليها في إجابتي على مثل هذا السؤال في بعض الفتاوى التي أخرجناها قبل سنة من سجن سواقة.. ولعلّها طبعت..

إلا أنّنا نخالف من يصفها بالانتحار أو يحكم على أصحابها بالنار.. لأنّ استقراء الأدلة الشرعية يدلّ على أن المنتحر الذي ورد في حقّه الوعيد الشديد في النار.. إنّما هو من قتَل نفسه اعتراضاً على قدر اللـه تعالى، أو جزعاً وخوفاً من

قضاء اللـه أو استعجل الموت لقلّة صبره على البلاء أو الجراحات ونحوها..

فما دام من يقوم بتلك العمليات من المسلمين الموحّدين لا يفعل ذلك الشيء من هذا، فلا يجوز إطلاق حكم المنتحر الوارد في الأحاديث عليه ولا إلحاقه بالوعيد المذكور فيها..

ولكن الذي يجب التنبيه إليه في مثل هذه العمليات أنّ هناك نصوصاً عامّة تنهى عن قتل النفس مطلقاً حتّى وإن لم يكن للأسباب المذكورة آنفاً. لذلك كانت أمثال هذه العمليات مدار بحث واجتهاد عند العلماء.. ولها أشباه ونظائر في كتب الفقه القديمة كمسألة التترسّ الشهيرة يمكن إلحاقها بها.. وقد فصّلت الكلام على ذلك وذكرت الأدلة فيه في الفتوى المشار إليها، والتي وجّهت القائمين على مثل هذه العمليات فيها إلى دراسة الأمر دراسة شرعية جادّة، وتوعية الشباب القائمين عليها إلى أمور أهمّها:

● بذل الجهد في استعمال وسائل التكنولوجيا الحديثة كأجهزة التفجير عن بعد وأجهزة التوقيت ونحوها مما يقلّل عدد الضحايا في صفوف المجاهدين، فإنّ هذا واجب عليهم ما استطاعوا إليه سبيلاً، فالأخ المجاهد الموحّد جوهرة نفيسة في هذا الزمان لا ينبغي التفريط بها لأهداف يمكن حصدها دون خسائر من هذا النوع، خصوصاً في ظلّ عدم الدولة والتمكين...

● أن يكون التركيز في مثل هذه الأعمال على الأهداف العسكرية الموجعة وإظهار الصورة المشرقة للجهاد الإسلامي بأن لا يتعمّد قتل الأطفال ونحوهم ممّن أمر الشرع باجتنابهم إلا لضرورة لا يمكن التمييز فيها، كما في حديث الصعب بن جثامة في البخاري وغيره أنّ رسول اللـه ﷺ سُئل عن تبييت الكفار -أي الهجوم عليهم ليلاً- وفيهم ذراريهم، فقال: «هم منهم، لا حمى إلا حمى اللـه ورسوله».

● وأن يكون في مثل هذا العمل مصلحة عظيمة عامّة وحقيقيّة أو دفع مفسدة حقيقيّة ليست ظنّية لا يمكن دفعها إلاّ بهذا الطريق.. أما أن يُستعمل مثل ذلك لقتل كافر أو كفّار يمكن قتلهم مثلاً بالمسدّس أو البندقية، فهذا لا يحلّ قتل النفس لأجله لأنّه ليس بضرورة، ويمكن التوصّل إليه بغير تلك الوسيلة..

والخلاصة.. أنّ مثل هذه العمليات قد أفتى علماؤنا بجواز أشباهها ونظائرها، فيما يتحقق فيه دفع مفسدة عظيمة حقيقيّة لا يمكن دفعها إلاّ بذلك..

أما ما يشقشق به بعض المشايخ من أن العمليات الجهادية ضد اليهود لا تجلب للمسلمين إلا الدماء.. فهذه شبهة من شبه المخذّلين عن الجهاد في كلّ مكان وليس في فلسطين وحسب. ولو اتّبع المسلمون مثل هذه الشقشقات والتفتوا إليها أو اعتبروها لما قامت لهم قائمة، ولا رُفعت راية من رايات الجهاد في يوم من الأيّام.. وهل وصل إلينا دين اللـه وفتحت البلاد شرقاً وغرباً إلا على أشلاء ودماء المجاهدين ممّن سلف.. وهل يكون جهاد بلا دماء؟ وهل تُحقَن الدماء إلا بسفك الدماء؟ كما قيل:

بسفك الدما يا صاحبي تحقن الدما وبالقتل ينجو الناس لمن غبّة القتل

وتقول العرب: «القتل أمسى للقتل».

وهل يكون الجهاد إلا بالتضحيات والدماء؟

ألم يقل اللـه تبارك وتعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون..}.

وقال تعالى: {فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يُقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً}.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تبيّن فساد وبطلان شبهات المرجفين الذين يوضعون خلال صفوف المسلمين للتخذيل عن الجهاد..

واللـه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ■

لا ريـــب في عـــدم جواز الصلح مع اليهود وهم محتلون لأرض المسلمين، ولكن ما هو الحكم الشرعي فيمن يقوم بهذا الصلح، وفيمن يعاون اليهود في ضرب الحركة الإسلامية التي تجاهد داخل فلسطين؟

حقيقةُ هذه المعاهدات التي تُبرم مع اليهود أنّها معاهدات كفريّة، فهي في حقّ أنظمة الحكم القائمة عليها: {زيادةٌ في الكفر}، تُضاف إلى أنواع كفرها الأخرى من التشريع مع الله أو تعطيل أحكام الله، ومحاربة أولياء الله، واستهزاء بدين الله، وغير ذلك ممّا عدّدناه وفصّلناه وأقمنا الأدلة عليه في غير موضع.

إنّ هذا الصلح ليس حقيقته صلحاً شرعيّاً مؤقتاً من قبيل ما كان يجري بين المسلمين وأعدائهم لضرورة.

بل هي اتّفاقيات ومعاهدات أخوّة وصداقة وتولٍّ حقيقيّ دائم للكفار، تقوم أساساً على تعطيل وتحريم ما شرعه وأوجبه الله تعالى على هذه الأمّة من جهاد الكفار، وترتكز على تولّي أعداء الله وحراستهم ونصرتهم على الموحّدين المجاهدين.. وهذا ما تقوم به الآن فعلاً الأجهزة الأمنية في الأنظمة والسلطات التي آخت اليهود، من نصرة اليهود على الموحّدين طبقاً إلى الاتفاقات الأمنية التي أُبرمت ضمن تلك المعاهدات، والتي تنصّ على محاربة الإرهاب الذي يعنون به الجهاد، وذلك بالتعاون العسكري في هذا المجال وتبادل المعلومات والخبرات والكيد للمجاهدين والتربّص بهم، وهذا بحدّ ذاته عمل مخرج من ملّة الإسلام كما نصّ على ذلك علماؤنا في نواقض الإسلام، حيث قالوا: «مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كفر». وصنّفوا في ذلك الرسائل والكتب التي شحنوا فيها الأدلّة الظاهرة والصريحة على ذلك، ومن أوضحها قوله تعالى: {ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم}، وقوله عزّ وجلّ: {ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنّهم لكاذبون}. فتأمّل كيف عقد الله بين هؤلاء المظهرين للإسلام وبين اليهود عقد الأُخوّة، أي أنّه كفرهم، وذلك لأنّهم عقدوا معهم اتّفاقية نصرة، فوعدوهم بنصرتهم على المسلمين في حال قتال المسلمين لهم، فتأمّل كيف كفَّرَهم الله مع أنّه يعلم أنّهم بوعودهم هذه وباتفاقياتهم كاذبون.. فكيف بمن نصر اليهود فعلاً على المجاهدين المسلمين وتربّص بهم الدوائر وسعى في إحباط جهادهم..؟؟ لا شكّ أنّه أشد كفراً وأولى بالقتال والجهاد.

كيف تنظرون للأوضاع على الساحة الأردنيّة؟

الأوضاع على الساحة الأردنيّة لا تخرج عن كونها جزءاً من أوضاع سائر بلاد المسلمين التي تسلّط عليها الحكّام الكفرة الذين عطّلوا شرع الله وفرضوا على الناس مناهجهم وقوانينهم الكافرة التي جعلت التشريع والحكم والأمر والنهي كلّه لهم لا لله، وفتحوا البلاد على مصراعيها للكفر والإلحاد والفساد، وسلّطوا أعداء الله على خيراتها ومقدّراتها، في الوقت الذي كبّلوا فيه وحاربوا الدعاة المخلصين الذين يسعون للعودة بالأمة إلى أمجادها.

أما دعاة الفتنة والإرجاء الذين ملؤوا الديار عندنا، فمرضيٌّ عنهم.. وها هم اليوم بين يدي الانتخابات التشريعيّة.. التي اعتادوا على المشاركة فيها.. إلا أنّهم أعلنوا مقاطعتها في هذه المرّة وأظهروا مخالفة الحكومة.. وليس ذلك من باب البراءة من القوانين الوضعيّة والكفر بالديمقراطية الشركيّة.. أي ليس هو من جنس خلاف الرسل مع أعداء الشريعة، كلاّ، إذ خلافهم هذا لا يقوم على إنكار الديمقراطية وغيرها من المناهج المناقضة للتوحيد.. بل هو خلاف سخيف وساقط بين معارضة مهلهلة تطالب بتجذير الديمقراطية والتوسّع في تطبيقها، وربّما أضافوا إلى ذلك بعض المطالب الدنيويّة الهزيلة التي لا تتناسب مع شعاراتهم الضخمة التي يضلّلون الناس بها. وأشدّ أنواع التصعيد عندهم، هي هذه المعارضة القانونية التي تتمّ دون مخالفة القوانين أو الخروج عليها، وأن ينتقدوا سياسات الحكومة التي تتبدّل عندنا كلّ سنة تقريباً، أمّا الطاغوت عندهم فذاتُه مصونة لا تُمَسّ، ولا يقتربون منها، بل على العكس، فكثيراً ما يكثرون له المديح والثناء دون خجل ولا حياء.. فأي خير يرتجى من أمثال هؤلاء...؟؟

ولا يتورّع أقطابهم الذين ينتسبون إلى بعض جماعات الإرجاء من التحالف لأجل تلك المطالب الساقطة مع العلمانيين والوطنيين واليساريين والبعثيين والشيوعيين تحت غطاء ما يسمّونه بالوحدة الوطنيّة، التي هي راية من رايات الجاهلية المعميّة.. التي جاء الإسلام لهدمها، ويسعى هؤلاء لإحيائها.. فالقوم لا يعرفون حقيقة دين الرسل ولا يفقهون معنى «لا إله إلا الله» ولا يرفعون رأساً بلوازمها وعُراها الوثقى التي تفرّق بين الوالد وولده وبين الزوجة وزوجها وبين الرجل وعشيرته لأجل العقيدة والدين. بل يفتخرون بدساتيرهم وقوانينهم الجاهلية التي ألغت هذا الفرقان العظيم الذي شرعه الله لعباده الموحّدين.. وقد كتبت في السجن رسالة صغيرة بعثتها إلى بعض هؤلاء القوم، في بيان تعارض هذه الوحدة التي ينادون بها مع توحيد المسلمين، سمّيتها «الفرقان المبين بين توحيد الوطنيين وتوحيد المرسلين».. هذا وقد سعد النظام وفرح بأمثال هذه المعارضة القانونيّة، وكثيراً ما خرج علينا طاغوته يمدحها ويزكّيها

في خطاباتها ويذكر وقوفها إلى جنب النظام وحرصها على أمنه وعلى الوحدة الوطنيّة.. فهنيئاً لكلّ المحبّين، فالمرء يُحشر مع من أحبّ. في خطّ موازن آخر لهؤلاء نجد من أدعياء السلفيّة من تقلّد المناصب الخبيثة عند طواغيت الحكم، واستفرغ جهده ووقته في الذود عنهم وإقامة الشبه الباطلة للدفاع عنهم، والتهوين من كفرهم، فما هذا الكفر المتشعّب والشرك الصراح عند القوم إلاّ كفراً دون كفر.. وفي المقابل تخصّصت طائفة أخرى منهم وتفرّغت للصدّ عن دعوة التوحيد وشنّ الغارة على دعاتها، والسعي في تشويههم واتّهامهم بالغلوّ والتكفير ووصفهم بالخوارج المعاصرين، وغير ذلك من التهم التي اعتاد أهل الإرجاء لمز أهل السنّة بها وتوجيهها إليهم.. هذه بعض أوضاع الساحة عندنا.. والحديث يطول في هذا الباب خصوصاً مع السجن وشجونه.. وحال القوم كما قال الشاعر:-

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

فتنة عمياء نفق فيها الرويبضة وتصدّروا لتوجيه الناس والصدّ عن السبيل.. وفي وقت شغلت فيه الحكومات الناس عن دينهم الذي هو عصمة أمرهم بالركض وراء تحصيل لقمة العيش والانشغال بتكاليف الحياة التي اشتعل فيها الغلاء وسط نهب النظام لخيرات الأمّة وإغراقها في مديونيّاتٍ ضخمة للعالم الخارجي تبرّر بها ركوعها الدائم لأعداء الأمّة..

ووسط هذا الغثاء كلّه.. يبقى الأمل معقوداً في دعوة التوحيد الناشئة، أن يبارك الله فيها.. ويلمّ شمل أنصارها، ويهيّئ لهم من لدنه وليّاً ويهيّئ لهم من لدنه نصيراً.

يدور هذه الأيام جدال كبير حول جواز إعلان الجهاد ضد أعداء الله المبدّلين لشريعته، فما هو رأي الشيخ في ذلك؟ وما هي الظروف الموضوعية والواقعية لبدء الجهاد، في ظل الاستضعاف الذي تعيشه الأمّة الإسلامية؟

الذي أعتقده وأعلنه دائماً أن الجهاد ضد أعداء الله المبدّلين للشريعة المتسلّطين على الأمّة في هذا الزمان هو من أعظم الواجبات التي يجب أن يهتمّ بها المسلمون، بل ذلك أهمّ عندنا ومُقدّم على جهاد اليهود المحتلّين لفلسطين كما تقدّم.

قال تعالى: {...فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون}. وفي صحيح البخاري وغيره عن عُبادة بن الصامت ﷺ قال: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان». وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلُف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». وفيه أيضاً عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». والنصوص في هذا الباب أكثر من أن نحصرها في هذا المجال.

والخطاب فيها متوجّه إلى عموم الأمّة لا يُستثنى من ذلك أحد إلا بدليل، وقال تعالى: {وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله}. فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لطواغيت الحكم، وجب قتالهم حتّى يكون الدين كلّه لله.

فكيف وقد جعلوا جميع السلطات التشريعية وغيرها لهم لا لدين الله كما نصّت عليه دساتيرهم الكفريّة.. وقد فصّلناه في كثير من كتاباتنا التي كشفنا فيها النقاب عن تلك الدساتير وبيّنا ما فيها من إفك وتزوير.

وكذلك بسطنا الأدلّة على وجوب خلع الحكّام الكفرة والخروج عليهم وقتالهم وتغييرهم، وهي كثيرة في الكتاب والسنّة، وكلام علماء الأمّة في ذلك واضح صريح جمعناه في غير موضع، ورددنا على شبهات المخذّلين عن ذلك من جماعات الإرجاء في هذا الزمان..

ودعونا المسلمين لأن يسعوا إلى تنظيم جهودهم وتوحيد صفوفهم لأجل ذلك، وأن يتصدّر لقيادة الشباب في هذا الأمر العظيم علماءُ الأمّة المخلصون، وأن يُبذل الجهد الجاد للإعداد المادي والمعنوي لهذا الأمر الجلل، والذي يجب أن تتركّز جهود الأمة عليه، وهو مسؤولية الأمة جمعاء، وقد أخبر النبيّ ﷺ أنّ «من لم يغزُ أو يحدّث نفسه بالغزو، مات

على شعبة من النفاق».

فلا بدّ من بذل الجهد في الإعداد لذلك، خصوصاً وأن الأمة تعاني من التشرذم وتبعثر طاقاتها وإمكاناتها في ظلّ واقع الاستضعاف هذا وفي ظلّ غياب الإمام القوام عليها، الذي يلمّ شملها ويجمعها.

والخلاصة أنّه يجب في هذا الباب العمل الجماعي الجاد المتكامل الذي يجب له من الإعداد والإمداد ما لا يجب لغيره، ونقدّمه على الأعمال الفرديّة، وهذا لا يعني عندنا بطلان الأعمال الفرديّة إذا كانت تقوم على نهج سديد وفقه صحيح وبصر بالواقع ومعرفة بميزان المصالح والمفاسد.. فشرط الوجوب الذي لا يلزم إلا المستطيع، غير شرط الجواز.. والجهاد فريضة مشروعة إلى يوم القيامة لا يعطّلها أو يُلغيها شيء.

ومنه يُعرف مرادنا عندما نمثّل فريضة الجهاد بفريضة الزكاة.. وذلك من حيث أنّ الخروج على هؤلاء الطواغيت لتغييرهم وإقامة دولة الإسلام عملٌ كبير لا بدّ من إعداد متناسب مع هذا الهدف الخطير، ودراسة متكاملة للواقع الذي نعيشه، وتوقيت مناسب، فلا يلزم لمن يقدر عليه المبادرة إليه دون إعداد جاد.. كالزكاة التي لا تجب إلا بعد بلوغها النصاب وحلول وقتها بعد دوران الحول.. والكلام في هذا التمثيل على اللزوم والوجوب.. أمّا الجواز والمشروعيّة، فنحن مع دعوتنا إلى العمل المتكامل، لا ننكر مشروعيّة عموم الجهاد لأعداء الأمّة حتّى وإن كان ذلك القتال لا يحقق تغييرهم، فيجوز أن يقاتلهم المرء وحده، كما أشار أبو بكر الصدّيق ﷺ في كلامه عن المرتدّين، أو ضمن عصابة وطائفة كما في قصّة أبي بصير ﷺ وكما في الأحاديث المتواترة التي ذكرت الطائفة الظاهرة القائمة بدين الله وأنّها طائفة أو عصابة مقاتلة إلى قيام الساعة لا يضرّها من خالفها ولا من خذلها.. وقد قال تعالى: {فقاتِلْ في سبيلِ الله لا تُكَلَّفُ إلاّ نَفسَكَ وحرِّضِ المؤمنين}.

فالجهاد عبادة مشروعة تجوز في كلّ وقت، وهو المدرسة التي يتربّى من خلالها الأفراد، والشعيرة التي تثمر وتفرز لنا القاعدة العريضة [1] التي ينتظرها ويدندن حولها ويشترطها كثير من المشايخ لبدء الجهاد.. ولذلك فلا يجوز تعطيلها أو تخذيل الأمّة عنها بحال..

وذلك كما هو الشأن في فريضة الزكاة، لا تعطّل لفقد إمام أو غيره، وهي وإن كانت لا تجب إلا مع بلوغ النصاب ودوران الحول، إلا أنّ الصدقة عموماً تجوز في كلّ وقت، فلا يجوز صدّ الناس وتخذيلهم عنها بحال.. بل قد نصّ طائفة من أهل العلم على جواز تعجيل الزكاة قبل وقتها للحاجة، كما فعل النبيّ ﷺ في صدقة العبّاس، فافهم هذا، ولا تخلط بين كلامنا وكلام المخذّلين عن الجهاد.

ما هي مؤلّفاتكم، وما هي الكتب التي لم تنشر حتّى الآن؟

لم ينشر من كتاباتي إلا القليل، وذلك لظروف التنقّل وعدم استقراري في السنوات الأخيرة. فممّا نُشر:

* ملّة إبراهيم.

* الكواشف الجليّة.

* الديمقراطيّة دين {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه}.

* المصابيح المنيرة في أجوبة أهل الجزيرة.

* العبادة: معناها وصفاتها وشروط قبولها.

* جزءان من سلسلة تحذير الساجد.

* وسمعت وأنا في السجن أنّ «إمتاع النظر في كشف شبهات مُرجِئة العصر» قد طُبع.

أمّا بقيّة كتاباتي، وإن كان كثير منها يتداوله الشباب ويصوّرونه، إلا أنّها لم تطبع، فمن ذلك:

* كشف النقاب عن شريعة الغاب (نقد للدساتير والقوانين الوضعيّة).

* إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس.

* القول النفيس في التحذير من خديعة إبليس (مصلحة الدعوة).

* الصارم المسلول على سابّ الربّ أو الدين أو الرسول.
* التحفة المقدسيّة في خلاصة تاريخ النصرانيّة.
* كشف الزور في إفك نصوص الدستور (نقد الدستور الأردني).
* هذه عقيدتنا (العقيدة المقدسيّة).
* النبذة في أصول الفقه.
* كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين.
* الشهاب الثاقب في الردّ على من افترى على الصحابيّ حاطب.
* الإشراقة في سؤالات سواقة.
* تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجهّم والإرجاء.
* إضاءات التيسير في ورقات الأسير (مجموعة فتاوى مهمّة في التكفير وضوابطه والتعامل مع الكفار والزجر بالهجر والانتخابات ونحوها..)
* سلسلة من آفات الدعاة، وهي عبارة عن توجيهات دعوية في السجن.
* لا تحزن إن الله معنا.
* محاكمة محكمة أمن الدولة وقُضاتها إلى شرع الله.
* هذان خصمان اختصموا في ربّهم.
* الفرق المبين بين توحيد المُرسَلين وتوحيد الوطنيين.
* إجابة السائل في الرد على ورقات الإيمان لأبي عادل.
* هداية الحليم إلى أن الحكمة والموعظة الحسنة وأهم المهمات في ملّة إبراهيم.
* موعظة موجّهة إلى مرتب الأمن الوقائي في السجن.
* إضافة إلى مجموعة رسائل وردود متفرّقة كُتبت بمناسبات مختلفة في السجن.

وهناك مجموعة كتابات تحتاج إلى بعض المراجعة وتكون جاهزة، حالَ السجنُ دون تكميلها، أهمّها:

* مساجد الضرار وحكم الصلاة خلف أولياء الطاغوت ونوّابه.
* الفرق المبين بين العذر بالجهل والإعراض عن الدين.
* الرد على غلاة المكفّرة.
* الرمحية.
* ومشروع قديم لم أنته منه بعد، وهو كتاب: نزع الحسام.

نسأل الله التوفيق والسداد والإخلاص والقبول بمنّه وكرمه.

ما هي المنهجية التي يقوم عليها فكر الشيخ المقدسي؟ وكيف تتميّز عن منهجية علماء آل سعود أو "الشيوخيين"؟

ليس لنا فكر خاص غير ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، من اتّباع عقيدة الفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة، والتركيز في الدعوة على التوحيد ولوازمه وحقوقه وعُراه الوثقى ومحاربة الشرك بأنواعه، خصوصاً شرك العصر ومناهجه الكفريّة..

والتمسّك بالوسطيّة التي كان صدر هذه الأمّة عليها.. وعدم الانحراف عن سبيل المؤمنين.. لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط. وأهمّ ما تتميّز به دعوتنا الصدع بملّة إبراهيم بإظهار البراءة من الكفّار ومعبوداتهم ومللهم الباطلة على

اختلاف توجّهاتهم كما هو شأن الطائفة القائمة بدين الله «ظاهرين على الحقّ»، نسأل الله أن يجعلنا منهم.. ونمقت الحزبيّة البغيضة التي فرّقت الأمّة وجعلتها فرقاً وأحزاباً كلّ حزب بما لديهم فرحين.. ونعدّ أنفسنا من جند التوحيد وخدّام الشريعة، نبذل دعوتنا لكلّ المسلمين وندور مع الكتاب والسنّة حيث دارا، ومتى ما وجدنا القيادة الربّانية المجاهدة التي تقودنا بهدي الكتاب والسنّة، إلى نصرة دين الله انضوينا تحت لوائها، وصرنا لها جنداً وأنصاراً وحواريّين.. ونحثّ الشباب على طلب العلم الشرعي والتبصّر بواقعهم، وندعوا إلى إقامة حكم الله في الأرض بالإعداد المتكامل لجهاد كفرة الحكّام، الذين نكفّرهم هم وأنصارهم ومن يتولاّهم من علماء السوء[٢] ويسوّغ باطلهم ويقيم الشبه الباطلة لتهوين كفرهم وتثبيت عروشهم..

ونرى مع هذا مشروعيّة الجهاد مطلقاً، وإنكار المنكر وتغييره باليد لأصحاب النهج السديد والفقه الصحيح المتبصّرين بميزان المصالح والمفاسد..

ولذلك فإنّ أعداء الله لا يرضون عنّا، كما لا نرضى عنهم، وهم في كيد دائم لنا ولإخواننا الذين هم على هذه الطريق..

ومنه يعرف ويتميّز منهجنا عن منهجيّة علماء آل سعود الذين بايعوا الطاغوت وأعطوه صفقة يدهم وثمرة فؤادهم، وأفنوا أعمارهم في الدفاع عنه، وسخّروا علمهم في الذود عن عرشه وتثبيت أركانه.

تمارس الأنظمة سياسة تحجيم العلماء العاملين عن طريق التشويش عليهم وسجنهم وتعذيبهم والسماح في المقابل لأصحاب حركة الإرجاء بالتحرّك بلا قيود، فيما تمدّ عملاءها الضالّين المضلّين بالدعم الرسمي والإعلامي والمادي إلخ.. كيف ترون التصدي لهذه المؤامرة التي تستهدف تكبيل عقول الشباب المسلم وثنيهم عن إقامة شرع الله؟ وما هي –برأيكم– الطريقة المثلى للتصدّي لأدعياء السلفيّة الجدد، الذين تتمحور دعوتهم حول المدافعة والذود عن الحكّام المبدّلين للشريعة، سواء في جزيرة العرب أو الأردن أو غيرهما؟ وكيف يجب أن يُتعامل مع أتباعهم؟

الذي أعتقده أنّ ذلك يكون بالاعتصام بالكتاب والسنّة، وتوجيه الشباب إلى طلب العلم الشرعي، وتحذيرهم من الزهد به، بسبب سلوك أولئك العلماء العملاء.. وإقامة المعاهد الشرعيّة المتحرّرة عن الأنظمة للتشجيع على طلب العلم، والاهتمام بالنجباء من أبناء المسلمين ليكونوا فيما يأتي علماء الأمّة وسندها.

فإنّ النبيّ ﷺ قد قال: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً من صدور العباد، ولكن ينزعه بقبض العلماء، فإذا ذهب العلماء، اتّخذ الناس رؤوساً جهّالاً فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا».

فيجب تحذير الشباب من رؤوس الضلالة سواء كانوا من علماء الحكومات أو من أدعياء السلفيّة الذين أفنوا أعمارهم في الجدال عن الطواغيت وأنصارهم والصدّ عن جهادهم، وشنّ الغارة على من كفّرهم أو سعى إلى جهادهم من الموحّدين.. فالواجب بيان تلبيسات هؤلاء وكشف شبهاتهم.. مع الاشتغال بدعوة التوحيد وعدم التضرّر بإرجافات القوم وتخذيلهم.. والثبات على سبيل المؤمنين ودعوة المرسلين وملّة إبراهيم، وعدم الاستيحاش لقلّة السالكين أو الاغترار بكثرة المنحرفين والهالكين..

أمّا أتبَاع أولئك المذكورين، إن لم يكونوا ممّن يصرّ على باطلهم، فيجب الصبر على دعوتهم ومحاولة تبصيرهم لإزالة الغشاوة عن أعينهم..

فكم قد نجّى الله من أمثالهم ببركات دعوة التوحيد، فصاروا لها جنداً وأنصاراً مخلصين، بعد أن تبرّؤوا من ضلال شيوخهم وباطلهم.

ولا أرى للشباب المسلم أن يضيّع جهده ووقته بالانشغال بمعارك جانبيّة تحرفه عن أصل دعوته وجهاده.

ونحن لولا الضرورة التي تلجئنا أحياناً إلى الردّ على تلبيسات أدعياء السلفيّة وكشف شبهاتهم، لما انشغلنا بهم ألبتة، وكلّما وجدنا من يسدّ هذا الباب فإنّنا نحمد الله، ونمضي في دعوتنا، دون الالتفات إلى شغب القوم أو تطاولهم على أشخاصنا وافترائهم علينا.. فأعداء ديننا في هذا الزمان كثير.. وما يجب علينا تجاه ديننا ودعوتنا ثقيل وكبير.. والعمر جدّ قصير.

وأخيراً، فإنّ الله تعالى يقول: {فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}.

نسأل اللـه تعالى أن ينفع بنا في دعوتنا، وأن يسدّدنا ويتولاّنا برحمته.

هل من وصيّة توجّهونها للأمّة الإسلامية؟

أوصيهم ونفسي بتقوى اللـه تعالى والتمسّك بدينهم وتوحيدهم، وأن يعضّوا عليه بالنواجذ، وأن يتبَصَّروا بما يكيده ويدبّر هم لهم أعداؤهم من طواغيت الحكم الذين يستخفّون بالأمّة ويلعبون بمقدّراتها..

وأوصي الشباب أن يرجعوا إلى دينهم، وأن يتربّوا في مدرسة الجهاد، الذي هو ذروة سنام الدين..

وأن يذكروا حديث المصطفى ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة واتّخذتم الزرع واتّبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد سلّط اللـه عليكم ذلاً لا يرفعه حتّى ترجعوا إلى دينكم».

{يا أيّها الذين آمنوا كونوا أنصار الله..}.

واسعوا جادّين لنصرة دين اللـه الذي خذله أكثر الخلق، فإنّ أعظم الأعمال في هذا الزمان الذي غاب فيه سلطان الإسلام وعُدمت فيه دولته وصارت لأعدائه.. هي نصرة الدين والتوحيد والدعوة إليه والعمل من أجل رفعته وإعزازه.

فليشمّروا وليبادروا إلى ذلك.

فتلك حروب من يغب عن غمارها ليسلمَ، يقرعُ بعدها سنّ نادم

فليلحقوا بركب الطائفة القائمة بدين اللـه التي أخبر عنها النبيّ ﷺ في الحديث المتواتر -فالسجن والبلاء والموت في طاعة اللـه خيرٌ من حياة يُذلّ فيها الدين وأهله - «لا تزال طائفة من أمّتي يُقاتلون على أمر اللـه -وفي رواية- يُقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتّى تأتي الساعة وهم على ذلك».

تمّت هذه المقابلة في سجن البلقاء بالأردن في جمادى الآخرة لسنة ١٤١٨ من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام

هوامش: (١) يقصد الشيخ بالقاعدة العريضة ما يشترطه البعض من وجوب وجود قاعدة واسعة تضم معظم أبناء الشعوب المسلمة ممن يريدون حكم الإسلام قبل البدء بالجهاد. ◆ (٢) إذا كان عالماً بحالهم مزوّراً حقيقتهم على الأمّة؛ وهذا شرط ضروريّ في الكفر عند أهل السنّة والجماعة.